مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 575-597
ر ت م د (ISSN): 2602-618X/ ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

مساهمة التّقاريظ والرسائل في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني

Contribution of extolment and Letters in writing of the Algerian History during the Ottoman period

مصطفى عتيقة[1]♦

جامعة تيارت ابن خلدون، تيارت bahdja.samira@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/26 تاريخ القبول: 2021/07/18 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص باللغة العربية: لقد تناولت العديد من الأعمال الاجتماعية السياسية والاقتصادية تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني لكن الحياة الثّقافية ظلّت مغمورة ولم تلق كفايتها من الدّراسة رغم أنّ الجزائر شهدت خلال ذلك العهد حركية علمية بنيت على عدّة مؤسسات ثقافية على رأسها المسجد، الزّاوية، والكتاب.

نحاول معالجة مسألة التطوّر الثقافي في الجزائر في ظل الوجود العثماني، وعليه جاءت هذه الدّراسة حول التّراث الأدبي الجزائري خلال المرحلة المذكورة ورصد ملامح الظاهرة الأدبية، إذ تفرض كل من "التّقارظ " و"الرّسائل" المزيد من الاهتمام كونهما من المؤثّرات الأساسية في الحياة الثّقافية في الجزائر خلال العهد العثماني.

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ الأدب؛ العهد العثماني؛ التّقريظ؛ الرسائل؛ الثقافة.

Abstract: A number of works have dealt with the socio-political and economic history of Algeria under the Ottoman protectorate; yet the intellectual and cultural life of this period remains poorly explored.

Although , during this period the Algerians had known a scientific movement which was based on many cultural structures such as Mosque ,Zaouia and Kottab.

We examine here the development of the intellectual Ottoman Algeria, so this study aims to represent the Algerian literary during the Ottoman period; the study highlights the characteristics of the literature that existed during the Ottoman era. The extolment and

♦ المؤلف المرسل

collection of letters (hand written) suppose more studies and interest for being an essential factor in cultural life in Algeria under the period Ottoman.

Keywords: Algerian; Literature; Ottoman era; extolment; letters; cultural**.**

مقدمة:

تختلف وجهات النّظر التي تحاول تفسير دور الموروث الأدبي (النّثري والشّعري) في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وهذا انطلاقا من العّينات التي تم الوصول إليها من هذا الموروث رغم أنّ الكثير من أجزائه ظلّت مشتّتة في دور الأرشيف العام والخاص أومجهولة، ومع ذلك هناك توجهات واضحة من قبل بعض المؤرّخين لتأكيد ضرورة تصنيف الأعمال النّثرية والشّعرية في الجزائر خلال العهد العثماني ضمن قائمة مصادر كتابة تاريخ الفترة المشار إليها.

إنّ قضية توظيف الموروث الأدبي وخاصة فن "التّقريظ" و"الرّسالة" في كتابة تاريخ الجزائر قضية أدبية - تاريخية، تعتمد على التّحليل الكمّي والنّوعي لبعض النّماذج المختارة، وخاصة أنّ الدّراسات العلمية التي خصّصت لهذا الموضوع قليلة جدّا، وإن كنّا نعترف بفضل الدّراسات الأدبية التي أخرجت الكثير من التّراث إلى دائرة النّور لكننا نلاحظ تقصير المؤرّخين في توظيفه على النّحو الذّي قد يساهم في بناء مقاربات أدبية-تاريخية جديدة.

لقد اهتمت الكثير من الدّراسات التّاريخية بواقع الأدب الجزائري خلال العهد العثماني، وقدّمت دراسات نقدية حول الأدباء والشّعراء الجزائريين وأغراض شعرهم ودوافعه المختلفة، ويعد هذا النّوع من الدّراسات مساهمة متميزة ذلك أنّ جل الدّراسات اهتمت بالفترة المعاصرة، ويعتبر أبو القاسم سعد الله من أكثر المؤرّخين الجزائريين الذّين اهتموا بالعهد العثماني، وخاصة أنّ الفترة تميزت بضياع قسم كبير من الدّواوين والقصائد وتشتّت المخطوطات والكتب التّراثية في أماكن مختلفة. وكان ممّن اهتم بهذا التّاريخ كتّاب آخرون من أمثال عبد الرّحمن الجيلالي (تاريخ الجزائر العام) ومحمّد طمّار في كتابه تاريخ الأدب الجزائري .

إنّ الغاية من هذه الدّراسة هي التعرّف على جانب من فنون الأدب الجزائري خلال العهد العثماني، وخاصة ما تعلّق بالتّقارظ والرّسائل ذلك أنّ هذه الأخيرة اكتست أهمية تاريخية فضلا عن قيمتها الأدبية، فلم يقتصر دورها على الجانب الفنّي والأدبي بل أضحت

في كثير من الأحيان مصدرا يعتمد عليه المؤرّخ في كتابة تاريخ الجزائر في جوانبه المتعدّدة، ولعلّ مهمّة الباحث في التّاريخ تتبع الحقائق التّاريخية التي يحملها التّقريظ والرّسالة، ثم إخضاعها للنّقد وفق ما تقتضيه أبجديات البحث التّاريخي.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف اعتمدنا في هذه الدّراسة منهجا غايته الدّراسة التّاريخية لظاهرة الأدب والشّعر الجزائري في العهد العثماني، من خلال توظيف التّواريخ ومحاولة ربط التّراث الأدبي (النّثري والشّعري) بالبيئة السياسية، الاجتماعية وحتى الاقتصادية، وتقصّي الحقائق حول حياة الشّعراء ومقارنة كل ذلك بمصادر تاريخية أرّخت لفترة الدّراسة، أي الاعتماد على ما سمّاه " سانت بيف" بالتجسّس على المبدع أي تقصّي وعاء الكاتب من خلال تتبّع أخبار وأوصاف الشّاعر وعلاقاته الاجتماعية والسياسية .

لكن اندثار قسم كبير من هذا الموروث يجعل مهمّة الوصول إلى نتائج ثابتة مهمّة تكاد تكون مستحيلة، حتى لا نقع في تاريخية " لانسون" أثناء عملية الاستقراء النّاقص في دراسته التّاريخية للأدب العربي، أوما وقع فيه "طه حسين" في كتابه "حديث الأربعاء " عندما درس شعر المجون في العصر العبّاسي وعمّم النتائج المتوصّل إليها على كامل العصر.

1-النّثر الأدبي في الجزائر خلال العهد العثماني :

إنّ المتتبع للواقع الثّقافي في الجزائر خلال العهد العثماني يلاحظ تنوعا ثقافيا وفنيّا رغم أنّ الحياة الثّقافية لم تلق العناية الكافية من طرف السّلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، ضف إلى ذلك انتشار نوع من الفوضى اللّغوية بعاميتها البربرية والعربية، وانقسام مناطق النّفوذ بين العربية والتّركية ،فكانت الأولى لغة الدّين والتّعليم والثانية لغة الإدارة.

نقصد بالنّثر الفني والأدبي الذّي يشمل المقالة والرّسالة وغيرها من الأنواع التي يتضمنها هذا النّمط من الكتابة، وقد حظي الأدب الجزائري في العهد العثماني ببعض الأشكال كالرسائل والتّقارظ، كما ظهرت فنون أخرى كان أهمها:

1.1- الخطابة:

تعدّ "الخطابة" إحدى فنون النّثر الأدبي، ذات أغراض عديدة، وقد تميّز العهد العثماني بتراجع هذاالفّن واقتصارهعلى الخطابة الدّينية بمناسبة صلاة الجمعة وصلاة العيدين، ومن أشهر الخطباء نذكر: سعيد قدورة ،سعيد المقرّي ،أحمد المقرّي ومصطفى بن عبد الله البوني، ولكن لا نعرف من تلك الخطب المدوّنة سوى مصدرين :الأوّل هو

عبارة عن مجموعة خطب منسوبة لأحمد المقرّي والثّاني خطب منسوبة لعبد الكريم الفكّون[1].

وممّن أشتهر في مجال الخطابة مصطفى بن عبد الله البوني وقد شهد له من علماء الفترة أمثال ابن ميمون الذّي قال:" يبتدع الخطب جارية الفقر... له في الخطب السّاعد المشتد ... ولا رأيت من شيوخنا من يتقدّم أمامه ... "[2].

2.1- المقامة:

ارتبطت"المقامة"بمهمّة تلقين صيغ التّعبير،أي تعليم النّاشئة فنون القول وأساليباللّغة،وفي الغالب ارتبطت ببعض المواقف الاجتماعية مثل التّهاجيوالمخاصمة والمناظرة، ورغم أنها كانت في الفترة المدروسة ضعيفة في شكلها ومضمونها لكن برز فيها كل من أحمد البوني ضمن كتابه "إعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار" سنة 1106ه/1696م، وقد تناول علاقة العلماء بالسّلطة والشّكوى من وشايات أهل العصر. وقد اشتهر في هذا المجال أيضا محمّد بن ميمون في كتابه"التّحفة المرضية في الدّولة البكداشية في بلاد الجزائر المحميّة "، وقد تضمّن ست عشر مقامة شملت صفات الباشا ووزرائه وقضاته،ثم تطرقت إلى أهم أعماله.

3.1 - الوصف النّثري :

ويندرج ضمن هذا الفن وصف الظّواهر الطّبيعية والقصور والمباني والمدارس ووصف الخيل وسائر الحيوانات، ونستشهد في هذا المجال بعمل نثري-وصفي لابن عمّار يصف من خلاله قصر ابن عبد اللّطيف بمدينة الجزائر.

4.1 –الإجازة:

لقد كانت الإجازة قطعة أدبية من حيث الأسلوب، ونذكر في هذا الباب إجازة محمّد الزّجاي لأحمد بن محمّد الشّريف المعروف بابن سحنون، وإجازات الشّيخ يحي الشّاوي

1يوسف العايب،أشكال الكتابة الأدبية في الجزائر العثمانية،مجلة البحوث والدراسات،العدد 24، السنة 14، صيف 2017، ص11.

2ابن ميمون، التّحفة المرضية، مخطوط باريس، ص 156، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص205.

المليانى، ومن المواضيع التي كشفت عنها الإجازة الجدل القائم حول الكثير من القضايا مثل القضايا الفلسفية المتعلقة بقضية الوجود والصّفات الإلهية[3].

5.1 –العقود:

برع كتّاب الفترة في كتابة العقود خاصة عقود الزّواج، وقد تضمنت رحلة ابن حمادوش نصوصا لعقود الزّواج المختلفة منها الفقهية ومنها الأدبيةوالاجتماعية،وقد غلب عليها طول الجمل وكثرة السّجع و رتابة الإضافات.

2- الشّعر في الجزائر خلال العهد العثماني:

أشار أبو القاسم سعد الله إلى ضياع قسم كبير من الشّعر الجزائري، رغم أنّ المعلومات تشير إلى وجود الكثير منه وتنوّع فنونه وأغراضه (المدح،الوصف ،الغزل...)، ومن أشهر الشّعراء نذكر : المنداسي،سليمان بن علي التّلمساني وابن عمّار والمنجلاتي وغيرهم ، وقد سبق أن أشار ابن خلدون أنّ أهل المغرب أضاعوا رواية أشعارهم وأخبارهم وكانت النّتيجة أن أضاعوا أنسابهم وأحسابهم.

والحقيقة أنّ الفترة كانت حافلة بالأعمال الشّعرية كأعمال ابن سحنون في كتابه " الأزهارالشّقيقة " وأبو راس النّاصر في "الدرّة الأنيقة "،وجمع عبد الرزاق بن حمادوش[4] في شعره أغراضا مختلفة (الغزل،المراثي، مدح الرّسول (ص)،الفخر والحنين إلى الوطن)،وتذكر بعض المصادر أنّ لمحمد بن عبد المؤمن الجزائري ديوان شعر ورسائلعديدة،وجاءت كتابات عبد الكريم الفكّون"منشور الهداية " وابن مريم" البستان " غنيةبتراجم الشّعراء في تلمسان وقسنطينة وغيرها من مناطق القطر الجزائري.

1.2- بواعث الشّعر الجزائري في العهد العثماني:

- الباعث الدّيني:

3فوزية لزغم،إجازات الشيخ يحي الشاوي المليانى الجزائري بدار الكتب المصرية،المجلة الجزائرية للمخطوطات،المجلد 03،العدد 2017، 04، ص140.

4-عبد الرزاق بن حمادوش:هو أبو محمد عبد الرزاق بن محمد بن احمد بن حمادوش بن علي المالكي الجزائري،ولد بالجزائر سنة 1107 ه/1695 م،اشتهر بعلم النبات و الطب و الصيدلة و الفلك والمنطق،عاصر الكثير من الأحداث منها احتلال الاسبان لمدينة وهران،وثورة احمد الريفي انظر أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزء الثاني، الجزائر، 1907.

نظم الشّعراء القصائد في مدح النّبي (ص) والشّوق له ولقبره، وتناولوا موضوع الحج ووصف مواكبه،وخاصة الشّعر الصّوفي الذّي ركّز على مدح ورثاء أولياء الله الصّالحين وأصحاب الكرامات،حيث وضع عبد الكريم الفكّون ديوانا كاملا خاص بالحج كونه كان أميرا لركب الحج لفترة طويلة ،وكان من رموز الشّعر الصّوفي احمد ساسي البوني ومحمّد بن محمّد الموفّق ومحمّد بن عبد الجبّار المسعودي الفجيجي.

وكان أحمد بن عمّار وعبد الرّزاق ابن حمادوش من الشّعراء الذّين اعتنوا -ضمن أشعارهم-بعادات أهل الجزائر في الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف وليلة القدر المباركة وختم صحيح البخاري وغيرها من المناسبات الدّينية[5].

- **الباعث السياسي**:

تجسّد هذا الباعث في الدّعوة للجهاد ضد تحرّشات الأسبان والاعتزاز بالنّصر،وعموما تميز هذا النّوع بالقلّة وركّز في الغالب على موضوع الجهاد ضد الأسبان الذّين نزلوا بسواحل الجزائر،ومدح الأمراء (بكداش باشا)،وفتح وهران الثاني على عهد الباي محمّد الكبير[6]،حيث كتب ابن سحنون في مدحه وجهاده.وبالمقابل كتب بعض الشّعراء في ذم الأتراك ونبذهم وهو حال سعيد المنداسي الذي اعتبر وجود الأتراك سبب الفساد و الخراب[7].

- **الباعث الاجتماعي**:

وهو الشّعر الذّي ينظم في غير المواقف الرّسمية والحكومية ويندرج ضمنه شعر الإخوانيات وشعر الرّثاء والمدح والتّقريظ والمجون والمزاح،وقد ارتبطت مواضيعه ببعض الظّواهر الاجتماعية كانتشار الفساد الاجتماعي وانتشار شرب القهوة والدّخان،

5لخضر سعيد بلعربي،فنون النّثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني،أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم،كليةالآدابوالفنون،قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة وهران 1، -2017-2018،ص 20.

6الباي محمد الكبير:هو الباي محمد بن عثمان بن ابراهيم الكردي، تولى بايلكالغرب،من أهم إنجازاته الفتح الثاني لوهران سنة 1792م..

8عبد المنعم القاسمي الحسني،أعلام التصوف في الجزائر: منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى،ط2،دار الخليل القاسمي،المسيلة،2005،ص159.

ومعاناة المجتمع الجزائري من العبث والمجون والتحلّل الأخلاقي[8]. ولقد تحدّث أبو القاسم سعد الله عن انتشار شعر الإخوانيات وقلّة شعر الرّثاء وشعر المجون، وكان الشّعر الاجتماعي محدود الأغراض في العهد العثماني، وقد اشتهر محمّد بن أحمد بن راس العين وابن علي في شعر المجون وأحمد البوني في شعر الألغاز واشتهر العياشي المغربي في المدح.

أما تقريظ الكتب فهو مدح الكتب مثل تقريظ ابن عمّار لكتاب الّدررعلى المختصر لابن حمادوش.

وقد نضيف شعر الحنين والشّكوى، ذلك أنّ الشّعراء الجزائريين عانوا الفراق والبعد عن أوطانهم بسبب الهجرة لطلب العلم، أو بسبب الهجرة لأسباب سياسية ودينية، حيث يلجأ الشّاعر إلى ربه كما فعل المنداسي في قصيدته قائلا:

فَهَذَا زَمَانُ المَكْرِ مَنْ لَكَ بالرِضَى وَفِي قَلْبِ مَا كَنْاهُ مِنَ السُّمِ

كَأَنَّ قَوَافِي الشِّعْرِ مِنِّي جَنَادِلَ وَكَفَ الزَّمَانِ مَنْجَنِيقٌ بِهَا يَرْمِي[9]

وقد ساهمت العلاقات الشّخصية بين الأدباء والعلماء في انتشار شعر المدح ومثال ذلك ما تبادله العيّاشي المغربي مع أستاذه عيسى الثّعالبي[10] أو مدح احمد الغزّال لشيخه احمد بن عمّار. وفي الرّثاء اشتهر رثاء مصطفى الرّماصي لشيخه عمر التّراريالمشرفي، ورثاء عبد الكريم الفكّون للشّيخ علي أبهلول .

3. التّقريظ وأهميته التّاريخية :

1.3 - مفهوم التّقريظ :

8-Gorguos (Traducteur),Bouras historien inédit de l'Afriqueseptentrionale A volume 05 n 25,1861p115.

9أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، 2009، ص242.

10هو عيسى بن محمد بن احمد بن عامر الجعفري الهاشمي الثعالبي، فقيه و محدث ، من مواليد سنة 1020هـ(1611 م) بمنطقة زواوة وانتقل إلى الجزائر ثم رحل إلى تونس ثم الحجاز ومصر ثم عاد إلى مكة أين وافته المنية سنة 1080 هـ(1669م). ومن أشهر تأليفه" كنز الرواة المجموع في درر المجاز يواقيت المسموع ".

قبل الولوج في موضوع البحث نشير إلى المعنى اللّغوي والاصطلاحي لمفهوم التّقريظ،فقد ورد في المعاجم اللّغوية الفرق بين التّقريظ والتّقريض فالأول هو مدح الشّخص وهو حي ونقول قّرظ الرّجل تقريظا أي مدحه وأثنى عليه ،ونقول هما يتقارظان الثّناء. والتّقريض: الشّعر والتّقريض صناعته،فالتقارظ في المدح والثّناء،أماالتقارض ففي المدح والذّم[11].

وقد ورد في حديث لعلي -كرّم الله وجهه- :" يهلك فيّ رجلان: محبّ مفرط يقرظني بما ليس فيّ،ومبغض يحمله شنأني على أن يبهتني"،كما جاء في القاموس المحيط:" والتّقريظ مدح الإنسان وهوحي بحق أوباطل وهما يتقارظان المدح أي يمدح كل صاحبه"[12].

وعليه يستحسن توظيف مصطلح التّقريظ للدّلالة على مدح شخص ما لكتاب أولمؤلفه أولهما معا،حيث يعطى الكتاب لشخصية علمية بارزة كي يقرظ له،وقد أصبح استخدام كلمة "تقديم" للتّعويض عن مصطلح التّقريظ. والتّقريظ من الفنون النّثرية التي انتشرت في العهد العثماني حيث كان الأدباء الجزائريون في الفترة العثمانية إذا اطّلعوا على إنتاج غيرهم أتبعوه بجميل الكلام وبيّنوا فضله ومحاسنه،والتّقريظ مثل الإجازة يكون في الغالب نثرا وأحيانا يأتي شعرا،و لما اعتنى التّقريظ بجمال اللّفظ ورونق الأسلوب احتل مكانته ضمن الدّراسات الأدبية-الأسلوبية.

وقد عمد بعض العلماء المعاصرين إلى توظيف كلمة (تقديم) بدل كلمة (تقريظ)،كما تطورت صناعة التّقريظ وأصبحت أكثر توسعا وتقويما للكتاب ومؤلفه،ويلجأ البعض إلى تقديم رؤيته الخاصة حول موضوع الكتاب. ومن التقارظ المنظومة تقريظ الشّيخ عبد

11عبد الجليل شقرون،نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي احمد،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تحقيق المخطوطات،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2016- 2017، ص 45.

12سميح عاطف الزين،الصوفية في نظر الإسلام،دار الكتاب اللبناني،ط3،بيروت،1985،ص545.

الرّحمن التنالي للشّيخ محمد بن أبّ المزمري[13] بعد نظمه الأجرومية سمّاه " نزهة الحلوم في نظم منثور ابن أجروم" [14] وجاء فيها:

إِذَا رُمْتَ نَظْمًا يَزْرِي بِالْدُّرِ فِي سَلْكٍ فَلَازِمْ ذَرُ الشَّيْخِ ابْنُ أَبِ أَخِ النُّسُكِ

بَدَا فِيهِ فَرْداً بَيْنَ أَعْلَامِ عَصْرِهِ وَحَازَ بِهِ سَبْقاً وَفَضْلاً بِلَا شَكِّ

2.3 - نماذج من التّقارظ:

أ- التّقريظ عند أحمد ابن عمّار:

- **اسمه ونسبه**: هو العبّاس بن عمّار بن عبد الرّحمن بن عمّار[15]، عاش بمدينة الجزائر في القرن الثّاني عشر هجري (18 م) ولم يتحدث المؤرّخون عن تاريخ ميلاده ووفاته، ولعلّ أقدم التّواريخ حول هذه الشّخصية هو تاريخ تقريظهلكتاب "الدّرر على المختصر" لابن حمادوش سنة 1159 ه، وأحدث التّواريخ مرتبط بتاريخ إجازته سنة1205ه[16] ثم تنقطع التّواريخ بين هاذين التّاريخين وهي مدة 46 سنة ويرجّح أبو القاسم سعد الله مولده سنة 1119 ه ووفاته سنة 1205ه.

كذلك لم يتم تحديد نسبه بشكل مضبوط إلاّ على سبيل الاجتهاد، ويبدو أنه كان ينتمي إلى عائلة عريقة في العلم والشّرف، وكان والده على قدر من التديّن،كما أورد ابن حمادوش ترجمة لخال ابن عمّار المدعو "محمّد بن سيدي الهادي" كونه من فئة العلماء في مدينة الجزائر خلال القرن 12 ه[17].

- **شيوخه وتلامذته**: لقد استفاد ابن عمّار من علم الكثير من العلماء بحكم غزارة رحلاته، ونذكر على سبيل الذّكر لا الحصر خليل المغربي بالقاهرة،أحمد بن محمّد الورزي

13-محمد بن أبّ المزمري: هو أبو عبد الله سيدي محمد بن أبّ بن احمد،ولد سنة 1094ه بقرية اولاد الحاج(أدرار)، من أعلام توات، من أثاره المخطوطة أزيد من ثلاثين مخطوطا، ينظر ترجمته مخطوط رحلة ضيف الله بن محمد بن أبّ، ص 11 و ما بعدها.

14بو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسانالعرب، دار صادر للطّباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1410، 1ه، 1990م، المجلد السابع، ص455.

15أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص245.

16عادل نوهض،معجم أعلام الجزائر من صدور الإسلام حتى العصر الحاضر،دار الأبحاث، الجزائر، 2013، ص151.

17أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص64.

المغربي ومحمّد بن علي...الخ،وكان من تلامذته محمّد أبو راس النّاصر ومحمّد خليل المرادي الشّامي[18]،وقد جمع تلميذه إبراهيم السيّالة التّونسي إجازاته في عمل سمّاه" منتخب الأسانيد في وصل المصنّفات والأجزاء والمسانيد ".

ويبدو أنّ عصره تميّز بنوع من الانتعاش الثّقافي في الجزائر، حيث ظهرت أسماء بارزة في الإنتاج الفقهي والأدبي والتّاريخي والعلمي، ففي الأدب اشتهر محمّد بن ميمون وفي الفقه ظهر أحمد البوني وعبد القادر الرّاشدي وفي التصوّف ذاع صيت الحسين الورتلاني.

-**مؤلّفاته وأثاره**: لا نعرف الكثير عن مؤلّفات ابن عمّار باستثناء القليل منها ويتعلّق الأمر برحلته " نحلة اللّبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب"، حيث نشر مقدّمتها سنة 1902 محمّد بن أبي شنب ،أما باقي المؤلّفات فهي عبارة عن شروح،حواشيورسائل،إجازات وتقارظ نذكر منها[19].

- حاشية على الخفاجي في الأدب، تحدث عنها أبو راس النّاصر في كتابه" فتح الإله".

- رسالة في قوله تعالى"إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك ".

-شرح على صحيح البخاري،تحدّث عنه محمّد بن أبي شنب بمناسبة انعقاد مؤتمر المستشرقين سنة 1905 بالجزائر.

- تاريخ في سيرة علي باشا(باي تونس) ذكرها إبراهيم السيّالة التّونسي .

- **مذهبه**: كان ابن عمّار متحرّرا من الفكر الخرافي وكان ممّن ذمّ أدعياء التصوّف ووصفهم بالزّندقة مثلما فعل الفكّون في كتابه " منشور الهداية "، ومع ذلك لا نجد له رأيا ينفّر من التصوّف وهو من أتباع الطّريقة الشّاذلية التي كانت منتشرة في عصره[20].

- **نماذج من تقارظ ابن عمّار**: تعد التّقارظ من الفنون النّثرية التي ميّزت العهد العثماني،وهي تتميز بسيطرة الرّوح الإخوانية على الأسلوب، ولعلّ الغاية هنا تقديم دراسة عن منهجية ابن عمّار في صناعة التّقريظ.

18حبيب بوزوادة،منابع الصورة الأدبية في شعر ابن عمار،مخطوطة،رسالة ماجستير، جامعة وهران 2004، ص13.

19الفيروز أبادي،القاموس المحيط، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1398ه /1978م، ص395.

20احمد أبو العباس المقري،رحلة المقري إلى المغرب و المشرق، تح : د.محمد بن عمر ،الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر،الجزائر، 2004، ص 69.

-تقريظه لأحد مؤلّفات الشّيخ حمّودة بن عبد العزيز التّونسي المالكي صاحب كتاب" التّاريخ الباشي " بعد اطلاعه على رسالته (في تحرير سمت القبلة وشرح موشحابن سهل عنوان الأريب)، وقد أشرف أبو القاسم سعد الله على تحقيق هذا التّقريظ، ويذكر بخصوص ذلك :"التّقريظ الذّي نقدمه هنا عثرنا عليه في قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 6880، وهو بقلم المفتي احمد بن عمّار الجزائري الذّي كان قد كتبه لكتاب ألّفه الوزير حمّودة بن عبد العزيز التّونسي"[21]، وتاريخ التّقريظ هو سنة1781م، وقد جمع أساليب البلاغة الموروثة عن المدرسة الأندلسية في بلاد المغرب وهي المدرسة التي كان ابن عمّار من أواخر روادها في الجزائر.

وكان حمّودة بن عبد العزيز قد تولىّ الوظائف السياسية والإدارية إضافة إلى الكتابة والتّعليم ،وقد ترجمت له المصادر بأنه عارف بالسياسة والرّياسة وعلوم المنقول والمعقول وأنه كان حسن المحاضرة فصيح اللّسان، عذب المجالس قوي القلم[22]،تولىّ التّدريس بجامع الزّيتونة، ومن أشهر مؤلّفاته " الكتاب الباشي " الذّي أرّخ فيه لعهد علي باي الذّي حكم تونس خلال الفترة (1759 -1782)، و كان علي باي قد أعطاه قلم الإنشاء ورئاسة الكتاب، ويبدو أنّ كل من احمد بن عمّار وحمّودة بن عبد العزيز كتب تاريخ حياته ومدحه وعاش في بلاطه. وبعد اضطراب الوضع بتونس لجأ علي باي مع أخيه محمّد إلى الجزائر ولا تؤكد المصادر معرفة ابن عّمار به خلال فترة اللّجوء.كما كان بلاط علي باي حافل بالشّعراء المتنافسين أمثال محمّد الورغي وعلي الغراب ولكن تظل علاقتهم بأحمد بن عمّار مجهولة.

ضمن جوٍ مشحون بالمؤامرات وصل أحمد بن عمّار تونس بقصد الاستيطان -كما ذكر تلميذه إبراهيمالسيّالة- ولكن هناك غموض بشأن هذه المسألة وخاصة بعد النّهاية المأساوية لحمّودة بن عبد العزيز الذّيمات في عزلة وإهانة.

في تقريظه مدح ابن عمّار تأليف (رسالة) من تأليف حمّودة ابن عبد العزيز وهو لا يخرج عن علم الكلام، ويبدو أنّ المؤلّف هو الذّي طلب من ابن عمّار تقريظ الرّسالة،

21أبو القاسم سعد الله،تقريظ للمفتي ابن عمار ،ظروفه ونصه ،مجلة مجمع اللغة الأردني،العدد 2003، 25 ، ص12.

22محمد باي بلعالم،الفصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلالي،دار هومة، الجزائر، 2004، ص57.

وكان في شهر صفر 1196هـ(1781م) وفيه إشارة أنّ ابن عمّار أقام بتونس بضعة أشهر ويدل أنّ ابن العزيز كان في قمّة نفوذه وهي أيضا فترة مرض علي باي[23].

ويمكن تقسيم التّقريظ إلى الفقرات التالية:

الفقرة الأولى: هي عبارة عن ديباجة تقليدية استهل بها ابن عمّار تقريظه، وأشار فيها إلى موضوع الرّسالة وهو وحدانية الله والحديث عن صفاته.

الفقرة الثانية: أخبر أنّ المؤلف هو الذّي أطلعه على الرّسالة، مشيرا إلى ما جاء فيها من أسئلة كلامية،حيث قال: " وقد أطلعني .... على الرّسالة المحبرة،المنقحةالمحررة،التي لهذا التاريخ أملاها وأولاها من باهر التّحقيق ما أولاها،وضمنها أجوبة عن أسئلة كلامية وردت كما ذكر- أعزه الله- على الحضر وذات البهجة والنّضرة،فنظرتها بعين المنّة والإنصاف مجانبا للتعصب والتعسف.." .

الفقرة الثالثة: تضمنت مدح للرّسالة وصاحبها حيث ذكر: " فرأيتها قد حازت قصب السّبق في مضمار الإجادة وميدان الإصابة،وانتظمت هي ومؤلفها مع شيوخ أهل السّنة... وشهدت له - أدامه الله وأدام النّفع به- برسوخ القدم في المعارف وسعة الاطلاع وكمال التملّي من العلوم خاصة الأصلين وما يتعلق بهما".

الفقرة الرابعة:احتوت على القطعة الشّعرية ومقدمتها وهي تحتوي على اثني عشر بيتا من بحر البسيط.

الفقرة الخامسة: تضمنت الكثير من المعاني السّامية والمحسّنات البديعية، وقد اعتبر فيه ابن عبد العزيز من المدافعين عن السّنة الشّريفة.

تقريظه لكتاب "الدّرر على المختصر" لابن حمادوش في المنطق، وهو يقع في حوالي تسع وسبعين ورقة كما أخبر عن نفسه واعتبره من أهم تأليفه، وقد تحدّث الكتاب عن مختصر الشّيخ محمّد بن يوسف السّنوسي ،وقد شهد له بذلك عدد من علماء الجزائر من بينهم عبد الرّحمن الشّارف واحمد بن عمّار الذّي أعلن بمناسبة تقريظه الكتاب المذكور أنه كتاب صغير الحجم ،كثير الفائدة وأجاز قراءته وشجّع عليه، وكان تقريظه شعرا

23-خالدي ربحة،الشعر الجزائري في الفترة العثمانية،الشاعر ابن عمار أنموذجا،دراسة موضوعاتية وأسلوبية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، الطور الثالث،تخصص: النقد الأدبي الحديث و المعاصر،كلية الآداب و اللغات والفنون،جامعة جيلالي اليابس،سيدي بلعباس،2017-2018،ص179.

ونثرا،وكان قد عرضه على الشّيخ الورززي ونال قبوله وموافقته بعد قراءته وتصحيح أخطائه.

والجدير بالذّكر أنّ ابن حمادوش سعى لنيل تقارظ عدّة تبرز علمه وتعلي شأنه العلمي، وتحفل رحلته المشهورة بالعديد من التقارظ، وقد حظي كتابه " الدّرر على المختصر " بستة منها، نذكر منها تقريظ الورززي وهو من كبار علماء وفقهاء المغرب من تطوان[24]، وقد جاءت التقريظة بلغة عربية فصيحة وتميزت بأسلوب خبري تقريري ومعان واضحة وعبارات سهلة تفتقر لألوان البيان والبديع. وتقريظة من القاضي بوخريص وهو قاضي مدينة فاس (1115هـ-1171هـ) والذّي قدّم تقريظه نيابة عن تقريظ الشّيخ أحمد بن لمبارك الملطيالسجلماسي.

أما تقريظة ابن عمّار وردت مطولة- على خلاف شهادة الورززي- بدأه بالحمدلة والتصليةوالتسليم،ثم أتبعه بمدح الشّيخين الورززي وابن حمادوش مشيدا بمجهود كل واحد منهما في اكتمال كتاب "الدّرر" وإخراجه في حلته الجميلة. وختم تقريظه بالتّنويه بالكتاب في معانيه وأساليبه مؤيدا ذلك بأبيات من الشعر :" هذا ولا عيب فيه غير أنه كتاب صغر جرما وغزر علما فقد أودع فيه من لطائف المعاني العجيبة الرائقة والألفاظ البديعة الفائقة،ما هز به أعطاف الآداب واستمال قلوب أولي الألباب لأن جنى نور حديقة العلم زاهيا يانعا... و قال فيه:

هَنِيئًا هَنِيئًا أَيَا مُخْتَصَرْ بِشَرْحٍ بَدِيعٍ جَمُوعٍ أَغَرْ

وَبُشْرَى لِقَارِئِكَ المُرْتَضَى بِمَا قَدْحَواهُ كِتَابُ الدُرَرْ

فَسَوْفَ يَنَالُه كُلُّالمُنَى وَيَحْظَّى سَرِيعاً وَيُعْطِي الْوَطَرْ

جاءت هذه التّقريظة بلغة أدبية واضحة وألفاظ راقية ومحسّنات بديعية (السّجع)،ومما جاء في تقريظه نثرا قوله: "ناهيك به مؤلفا جموعا،مبذولا خيره لا ممنوعا،قد أحكم فيه الرصف واستخدام لطائف المعاني في بديع الكلام،حتى أفض عن (المختصر) الختام وكشف عن وجوه فوائده اللّثام ووضع كنوز فرائده على طرف الثّمام

24سلسلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية الصادر عن الندوة العالمية التي نظمها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الرياض، 1977.

فأصبح به إذ ذاك في أعلى الذرى ... هذا و لا عيب فيه غير أنه كتاب صغر جرما وغزر علما"، وختم ابن عمّار تقريظه بستة أبيات من الشّعر.

ولقد أورد ابن حمادوش مجموعة من التّقارظ له من علماء الجزائر، ولعل أجودها تقريظ أحمد بن عمّار لكتابه " الدّرر على المختصر "،وصرّح ابن عمّار قائلا: "... فأجد محبنا الأديب والحبر الأريب سيدي عبد الرزاق بن حمادوش يقرأ عليه كتابه الدّرر الذّي جمعه على المختصر،فأصلح فيه الشّيخ المذكور - وهو يقصد سيدي احمد بن محمّد الورززي- بقدر الاستطاعة ما يحتاج للاصلاح،وأوضح غاية ما يحتاج للإيضاح كما ذكر ذلك،قدسسره،بخطهأعلاه،دام عزه وعلاه" [25].

-تقريظه لبعض شعر صديقه ابن علي: وقد قسم تقريظه ثلاث فقرات متدرجا من العام إلى الخاص ،أما الفقرة الأولى فقد أشاد فيها بأدب ابن علي قائلا: " مهلا أبا الوليد نفديك بالطارف والتّليد... "، وفي الفقرة الثانية وصف رسالة ابن علي مبرزا محاسنها، وفي الفقرة الثالثة وصف قطعة شعرية وردت ضمن رسالة ابن علي.وعموما امتاز أسلوب ابن عمّار بالجودة اللفظية والعناية بالمحسّنات البديعية ومنها السّجع[26].

ب- **تقريظ ابن علي**:

وضعه في قصيدة لصديقه ابن عمّار معبّرا عن إعجابه بمعانيها وأساليبهاقائلا :" أهلا بتحفة القادم وريحانة المنادم وسلوانة المحزون السّادم ... فاجأتني مفاجأة الراحة والوسن بعد المرض الطّائل والأرق...".

ج -**التّقريظ عند أحمد المقرّي**:

-**التّعريف بأحمد المقرّي :** هو شهاب الدّين أبو العبّاس أحمد بن محمّد المقرّي التّلمساني القرشي المالكي الأشعري من أعلام الفكر في الجزائر أثناء العهد العثماني،من مواليد تلمسان سنة 1578م، توفي بالقاهرة سنة 1631م وكان من أبرز شيوخه في تلمسان الشّيخ سعيد المقرّي.انتقل إلى فاس في عهد السّلطان السّعدي احمد المنصور ثم انتقل إلى مراكش، وبعد وفاة أحمد المنصور تم تعيينه مفتيا وإماما لمسجد القرويين سنة 1618م.

25احمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،المجلد4، ج7، تحقيق : أحمد عبد السلام،الدار العربية للكتاب،تونس، 1999، ص23.

26السملالي،الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام،ج2، ط 2، المطبعة الملكية- الرباط 1993، ص392.

-**مؤلفاته**: يعد كتاب" الرّحلة إلى المغرب والمشرق" من الآثار المفقودة التي قدمتها حفيدة المستشرق الفرنسي جورج ديلفان سنة 1993 للمكتبة الوطنية بالجزائر، أيضا كتابه "نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب" حول تاريخ الأندلس.

- نماذج من تقارظ أحمد المقرّي:

أما فيما يخص التّقريظ فقد قدّمه للشيخ السيوطي على كتابه " إتحاف النّاسك بإيضاح أحكام المناسك "، وقد ذكر استجابته لطلب الشيخ السيوطي بتقريظ الكتاب قائلا:" ولما ألّف صاحبنا الصّالح الشيخ عبد المنعم السيوطيالذيبي تقبل الله عمله كتاب إتحاف النّاسك بإيضاح أحكام المناسك" وسأل منّي تقريظه كتبت ما نصه:نحمدك يا منعما على عبده بإتحاف رياض يخفي ألطافه،فأوضح المناسك وبين للنّاسك ما تكمل به عبادته،في وقوفه وسعيه ومطافه ..."، وفي الجزء الثّاني من التّقريظ ذكر ابن حمادوش أنّ المقرّي وقف على إبراز أهمية كتاب "إتحاف النّاسك " قائلا :" وبعد، فقد وقفت على الإتحاف الذي طابق اسمه مسماه وطاب محتده ومنماه،فألفيته للعيون قرّة وللفنون غرة "[27].وختم التّقريظ بموشح في وصف الكتاب المذكور والثّناء على صاحبه قائلا:

قَدْ جَادَ بِالإِتْحَافِ كَالدُّرِ فِي الأَصْدَافِ

وَجَنَّةَ ألفَافِ دَانِيةَ القِطَافِ

لَيّنةَ الأَعْطَافِ

الشَّيْخُ عَبْدُ المُنْعِمِ وَمَنْلِذِيبي قَدْ نَمَى

ذُو العِلْمِ وَالتَّفَهُمِ وَالسَّبْقِوَ التَّقَدُمِ

فِي مَوقِفِ الأَنْطَافِ

د - **التّقريظ عند محمد بن الشّاهد الجزائري :**

التعريف بابن الشاهد :هو شاعر من فقهاء المذهب المالكي،ولد ونشأ بمدينة الجزائر من أصول أندلسية ،تولى الإفتاء سنة 1192ه اشتهر بالموشّحات وخاصة خلال الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف، وقد خصّه أبو راس النّاصر بالمدح والثّناء في كتابه " فتح الإله " عندما قال: " ولقيت العلامة الفهامة الدراكة الأديب،الذي في كل علم له أوفر

27عبد الرزاق بن حمادوشالجزائري،لسان المقال في النّبأ عن النسب و الحسب و الحال، ج2، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983، ص260.

نصيب، ورعي فيه خصيب، وأخذه بالفرض والتّعصيب.... " [24]. لقد ذاع صيته في شتى العلوم خاصة الفقه والحديث وصناعة التّقريظ وفنونها، وله الكثير من القصائد منها القصيدة البائية التي توسّل فيها إلى الله بأسمائه الحسنى أن يعفو عنه ويغفر له.

-**نماذج من تقارظ ابن الشّاهد** : ومن أشهر التّقارظ التي تحدّث عنها ابن سحنون تقريظ محمّد بن الشّاهد ،وجاء في شكل رسالة موجهة إلى ابن سحنون بعد الاطلاع على تأليفه"الأزهار الشّقيقة"، وقد أشاد ابن الشّاهد بهذا العمل وأطلق عليه في تقريظه عبارة الشّاب الظّريف، النّاضر روض أدبه الوريف، وكان ذلك **1202** هـ.

ويكتسي هذا التّقريظ أهمية بالغة انطلاقا من أهمية الكتاب في حد ذاته فهو شرح لعقيقة المنداسي، كما أنه ترجم لبعض الشّخصيات المغمورة من أمثال عبد الله أبو محمّد البسكري وهو فقيه وشاعر وذكر أنه معاصر لإبراهيم بن علي بن فرحون مؤلف الدّيباج المذهب."

4- منهجية التّقريظ عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني:

وإذا أردنا تقديم دراسة مختصرة عن منهجية بعض أعلام الجزائر خلال العهد العثماني في صناعة التّقريظ يمكن الوصول إلى النتائج التالية:-لم تخرج تقارظ معظم علماء الفترة عن التّقليد في أغلب الأحيان، حيث كانت تصاغ بألفاظ صعبة درج الأقدمون على توظيفها، ولا تخرج عن نطاق المديح والثّناء، كما وفّر المستوى المعجمي ثروة لغوية ذات أهمية لعلماء التّقريظ.

-يبدو أنه لم يتم الاعتماد على منهج التّحليل الدّاخلي الذّي يقوم على دراسة النّصوص النّثرية والشّعرية وتحليلها، وبالتالي إغفال اتصال الدّراسة ببعض الجوانب الاجتماعية والتاريخية، وخاصة أنّ أغلب الكتب التي تم تقريظها أدبية.

-تميزت تقارظ الفترة العثمانية بوضوح المعنى وانتقاء الألفاظ الدّالة وجاءت بعضها غنية بالمحسّنات البديعية خاصة لدى ابن عمّار على عكس تقارظ الورززي .

-لقد تمّت صياغة التقارظ على نحو لم يخرجها عن محتواها، وكان بالإمكان التحيّز لصيغة ما، حتى تكاد أن تكون نسخة ثانية للنّصوص الأصلية .

-تعد التقارظ من أهم المصادر التي أرّخت لطائفة كبيرة من أحداث وشخصيات العصر الذي تنتمي إليه من خلال نصوص شعرية ونثرية ذات إشارات تاريخية ثمينة.

5- الرّسائل وأهميتها التّاريخية:

1.5 - مفهوم الرسائل:

تندرج الرّسائل ضمن الأدب القديم، عرف انتشارا خلال القرن الثّالثوالرابع الهجري، وهو فن نثري يسمح بإبراز مواهب الكاتب في الكتابة باستعمال أساليب بيانية منمقة وقوية[28]. وقد أورد ابن منظور تعريفا للترسل فقال:" أنه من الرّسل في الأمور والمنطق كالتمهل والتثبت... والترسّل في الكلام التوقر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديدا "[29].

واصطلاحا هو ترجمة ما يدور في عقل الإنسان من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، ويقول القلقشندي في كتابه صبح الأعشى :" فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني" وقد وضعت العديد من التّصنيفات للرسائل أشهرها:

-**الوصايا**: وهي الرّسائل التي أرسلها الخلفاء الرّاشدون إلى من ولّوهم على الأمصار.

-**الرسائل الشّخصية**: وهي نوعان " ذاتية " وتسمّى أيضا "أهلية " أو رسائل الأشواق يكتبها الشّخص إلى صديقه أوقريبه، والنّوع الثاني "الأدبية " وهي التي يرسلها أديب إلى أديب مناقشا إيّاه في مسألة أدبية.

-**الرسائل الرّسمية**: وتسمى أيضا "الإدارية" أو"الدّيوانية" وهي التي ترسلها إدارة من الإدارات أوهيئة من الهيئات إلى فرد والعكس[30].

وقد لجأ الكتّاب العرب إلى فن الرّسائل كأداة للتواصل ونقل الآراء وتبادل الأفكار، وقد شهد هذا النّمط إقبالا كبيرا في الجزائر خلال العهد العثماني وأصبح منافسا لفن الخطابة والمقامة.

2.5 - أدب الرّسائل في الجزائر خلال العهد العثماني:

28الموسوعة العالمية العربية، حرف الراء، مج11، ط2، ص202.

29 أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، المجلد السابع، لسانالعرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1410، 1ه، 1990م، ص1644.

30بيوض فائز، النثر الجزائري في العهد العثماني، الرسائل والكرامات أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل. م. د في الأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، 2018-2019، ص54.

من السّمات الأساسية لهذا العهد هو ركود الأدب وإهمال اللّغة العربية من قبل الحكّام الأتراك، ومع ذلك سجّل فن الرّسائل حضورا معتبرا بفضل إسهامات عبد الكريم الفكّون الذّي تعدّدت رسائله بحكم علاقاته الكثيرة، واحمد المقرّي وسعيد قدورة واحمد بن عمّار.وقد شهدت الجزائر في هذه الفترة انتشار نوعين من الرّسائل:الأولى (ديوانية) والثانية إخوانية[31]، شخصية واجتماعية، وكانت موضوعات الرّسائل متفاوتة حسب الغرض من الرّسالة، ظروفها وزمانها.

- **الرّسائل الدّيوانية** : تشمل الإشادة بفضل العلماء وطلب المساعدة منهم، النّصحوالدّعاء، الوفاءبالعهود، طاعة ولي الأمر وتفقد أحوال الرّعية وقد نضيف الجهاد ضد الأسبان والحفاظ على استقرار الأمور.

-**الرّسائل الإخوانية**: تشمل المدح والثّناء، النصحوالموعظة، الاستعطاف، شكوى الحال، مدح الباشوات، الإشادة بأصل الأتراك وفضلهم ... الخ.

3.5 - نماذج من الرّسائل في الجزائر خلال العهد العثماني:

-**الإشادة بفضل العلماء واحترامهم**: لقد لقي علماء الجزائر الحظوة لدى حكام الجزائر من الأتراك حيث وجه يوسف باشا(1044هـ-هـ1064)(1635م-1654م) رسالة إلى الشّيخ محمّد ساسي البوني وهو من علماء ومرابطي عنابة، له العديد من المؤلّفات في علم التصوّف، وفي رسالة وجهّها محمّد بكداش -الذّي تولىّ حكم الجزائر سنة 1118هـ/1707م- إلى احمد ابن قاسم البوني أحد كبار علماء الجزائر من أشهر تأليفه"التعريف بما للفقير من تأليف ".

وجدير بالذّكر أنّ أسرة البوني كانت من أشد الدّاعمين للحكم العثماني في بايلك الشّرق وساهمت في إخماد ثورة ابن الصّخري، ولعلّ الرّسائل الدّيوانية بين يوسف باشا ومحمّد ساسي البوني دلّت على مجموع الخدمات التي قدّمتها أسرة البوني إلى السّلطة الحاكمة آنذاك، فالرّسالة التي تلقّاها البوني سنة 1020هـ / 1641 م تضمنت الدّعوة لتحذير

31لقد أحصى القلقشندي في كتابه صبح الأعشى أنواع الرسائل الإخوانية وهي 17: التناهي، التعازي، التهادي، الملاطفة، الشفاعاتوالعنايات، الشوق، الاستزارة، خطبةالنساء، الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار، فيالشكوى، في استماحة الحوائج، فيالشكر، فيالعتاب، في العيادة والسؤال عن المريض، فيالذم، في الأخبار والمداعبة.

أهالي عنابة من الانضمام إلى ثورة ابن الصّخري، وقد ردّ البوني بدوره في رسالة سنة1021ه / 1642م يخبر الحاكم العثماني بصهره على إخماد التمرد[32].

ولعلّ القيمة التّاريخية لمجموع الرّسائل تكمن في توفير جملة من المعارف التّاريخية ذات الطّابع السياسي حول بايلك الشّرق خلال القرن 17م، وخاصة ما تعلّق بمحاولات تحرير وهران من الأسبان لأنّ يوسف باشا تحدّث عن نيته في تحرير وهران وأنّ ثورة ابن الصّخري حالت دون تحقيق مشروعه[33]، ثم معلومات حول ثورة ابن الصّخري، والنّتيجةالمتوصل إليها أنه يمكن اعتبار هذه الرّسائل مصدرا حيّا لكتابة تاريخ الجزائر خلال تلك المرحلة وخاصة أنّ ما كتب حول الكثير من أحداثها كان بأقلام أجنبية خاصة ضمن صفحات "المجلّة الإفريقية".

كما تتدرج تلك الرّسائل ضمن مصادر التّوثيق لواقع الجزائر الثقافي، من خلال تحديد علاقة الحكام الأتراك بالعلماء وخاصة يوسف باشا حيث نال سعيد قدورة مكانة معتبرة من خلال تقليده منصب الإفتاء والخطابة والتّدريس بالجامع الكبير، وكان عبد الكريم الفكّون قد التقى يوسف باشا عندما حلّ بقسنطينة سنة1019ه / 1640م[34].

- **طلب المساعدة من العلماء الجزائريين:**وفي هذا الباب نذكر محتوى الرّسالة التي أرسل بها يوسف باشا إلى محمّد ساسي البوني إذ قال: "... والواجب عليكم رضي الله عنكم أن تكون أحوالنا منكم ببال وأن لا تدعونا في زوايا الإهمال... ".

ويأتي في هذا الباب الدّور الذّي لعبته عائلة الفكّون خلال ثورة عبد المؤمن سنة1021ه / 1642م، وهي ثورة قامت ضدّ الحكم العثماني بقسنطينة، وإن كانت هذه المسألة محلّ جدل بحكم تناقض ما ورد في المصادر حول علاقة عائلة ابن الفكّون بعائلة عبد المؤمن، وقد تبدو -في هذا المقام- بعض المراسلات ذات أهمية للاستدلال على حقيقة الأمر، حيث جرت مراسلات بين الباشا في الجزائر والفكّون في قسنطينة من بينها الرّسالة من الباشا إلى الفكّون وسكان قسنطينة والتي ورد فيها:"الحمد لله إلى مقام العلم المشهور

32صالح بن سالم، علاقة الفقهية بالسياسة الجزائر العثمانية من خلال الآداب السلطانية(قراءة في نماذج لرسائل ديوانية بين يوسف باشا و الفقيه محمد الساسي البوني)، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 03، جوان 2017، ص76.

33أبو القاسم سعد الله، (أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة)، مجلة الثقافة، س09، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ص21.

34حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكّونالقسنطيني، حياتهوأثاره (988ه-1073ه)/(1580م-1663م)، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة السانية وهران، 2008-2009، ص84.

... سيدي الشيخ ابن الفكّون.. فقد بلغنا أنّك سرت إلى أهل قسنطينة بالتّدبير المقيد والرّأي الصّائب الرّشيد "[35].

- **الوفاء بالعهود** : حيث ورد موضوع الوفاء بالعهد كثيرا ضمن الرّسائل الدّيوانية إذ جاء في رسالة محمّد السّاسي البوني إلى يوسف باشا :"وها هو العبد الفقير ليس بناس لكم ودا، ولا بناكث عهدا... ".

أما الرّسائل الإخوانية فقد شملت مواضيعها ما يلي:

-**المدح والثّناء**: ومن الرّسائل التي ذاع صيتها في هذا المجال نجد رسالة محمّد بن محمّد القالي التي أرسل بها إلى محمّد بكداش وجاء فيها :"إنّ الله تعالى منّ على المسلمين بسيدنا ومولانا سلطان الملوك والأكابر، المخصوص بأفضل الشّمائل والمآثر... ". كما أرسل عبد الكريم الفكّون برسالة إلى احمد المقرّي جاء فيها :" الشّيخ الشّهير الصّدر التحرير ذي الفهم الثّاقب والحفظ الغزير.. ".

-**النّصح والموعظة**: تضمنت التذكيربالآخرة وضرورة العدل والمساواة منها رسالة الفكّون إلى محمّد تاج العارفين وجاء فيها:"... مع الوصاية بما هو معهود مني لكل محب متباعدا ودنا بمراقبة المولى سرا وعلانية... ".

-**الرّسائل المتبادلة بين العلماء**: لقد عرفت الجزائر في العهد العثماني انتشار الرّسائل المتبادلة بين العلماء، ولعلّ من أبرز من راسلهم الفكّون العالم سعيد قدورة ، والواقع أنّ تلك الرّسائل تضمنت مواضيع علمية، ومثال ذلك رسالة سعيد قدورة للفكّون جاء فيها: "بعد البسملة والصّلاة على الرّسول- صلىّ الله عليه وسلّم- ، ..... على أني واصلتكم فيما سلف من الزّمان بعجالة حسب المقدرة والوقار ثم بليت بخطة الفتوى...".

فضلا عن رسالة الفكّونلأحمد المقرّي والذّي ذكر رسالة أرسلها الفكّون في رجب 1038 هـ/1629م واعتذر الفكّون بانشغاله بوفاة زوجته، ومراسلته لشخصيات أخرى منها محمّد الفقيه الزّواوي ومحمّد بن راشد الزواوي، وراسل احمد بن الحاجة الذّي عرفه بالوفد التونسي للصلح

الخاتمة:

لعلّ من النتائج الأساسية المتوصّل إليها هو تأكيد صلة التكامل بين الأدب والتّاريخ ، فالأدب يستمد مادته من بطون التّاريخ وصفا وتدوينا، وهو ما يدفعنا إلى دراسة الأدب

35المرجع نفسه ، ص 86.

استنادا إلى أساسه التّاريخي والوطني ودراسة التّاريخ انطلاقا مما يوفره التّراث الأدبي مع إمكانية اللّجوء إلى توظيف بعض العلوم المساعدة مثل الأدب المقارن.ولعل وظيفة المؤرّخ بالغة الأهمية في هذا المجال لأنه وحده القادر على تحديد متى تكون المدوّنات الأدبية وثائق تاريخية.

وتعد "التّقارظ" و"الرّسائل" بوصفها من فنون الأدب جزء من المادة التّاريخية ،ويمكن رصد تجليّات هذه الحقيقة من خلال الوقوف عند مجموع القضايا التي تناولتها التّقارظ والرّسائل وهي ذات صلة بتاريخ الأحداث،الأشخاص والأمصار. فقد سجّلت التّقارظ والرّسائل أحداثا سياسية واجتماعية وثقافية كثيرة ومتباينة في أسبابها ونتائجها،من صميم المجتمع الجزائري في العهد العثماني.

وإذا كانت بعض الأطروحات تحاول التّأسيس لوضع يجعل التّراث الأدبي في الجزائر خلال العهد العثماني خارج نطاق سطوة التاريخ،فإننا نعتقد أنّه من واجب المؤرّخ أيضا احتواء هذا التّراث دون استلاب الدّور الرئيس لعلم التّاريخ.

ولعلنا نختم في هذا المجال بفكرة النّاقد "رينيه ويلك" والذّي قال في كتابه" نظرية الأدب" في فصل وظيفة الأدب :أنّ الأدب يحقّق المتعة والفائدة،ولا يجوز أن تطغى إحدى الوظيفتين على الأخرى.

المراجع:

باللغة العربية :

ابن ميمون،التّحفةالمرضية،مخطوطباريس،ص 156،نقلا عن أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، ج2.د.ت.

ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، المجلد السابع،لسانالعرب،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط1410،1ه ،1990م.

أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2،دار الغرب الإسلامي، الجزائر ،2009.

أبو القاسم سعد الله،(أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة)،مجلة الثقافة،س09،وزارة الإعلام والثقافة،الجزائر.

أبو القاسم سعد الله،تجارب في الأدب والرحلة،المؤسسةالوطنية للكتاب،الجزائر،1983.

أبو القاسم سعد الله،تقريظ للمفتي ابن عمار،ظروفه ونصه،،مجلة مجمع اللغة الأردني، العدد 25،2003.

احمد أبو العباس المقري، رحلة المقري إلى المغرب و المشرق، تح : د.محمد بن عمر مكتبة الرشاد للطباعة والنّشر، الجزائر، 2004.

احمد بن أبي الضّيّاف، إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، المجلد 4، ج7، تحقيق : أحمد عبد السّلام، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999.

بيوض فائز، النثر الجزائري في العهد العثماني، الرسائل والكرامات أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في الأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، 2018.

حبيب بوزوادة، منابع الصورة الأدبية في شعر ابن عمّار، مخطوطة، رسالةماجستير، جامعة وهران، 2004.

حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكّونالقسنطيني، حياتهوأثاره (988هـ-1073هـ)/(1580م-1663م)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية وهران، 2008-2009.

سلسلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية الصادر عن النّدوة العالمية التي نظمها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الرياض، 1977.

ربحةخالدي، الشعر الجزائري في الفترة العثمانية، الشاعر ابن عمار أنموذجا، دراسةموضوعاتية وأسلوبية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في الأدب العربي، الطورالثالث، تخصص: النقد الأدبي الحديث و المعاصر، كلية الآداب و اللغات والفنون، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017-2018.

السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج2، ط2، المطبعة الملكية-الرباط، 1993. .

سميح عاطف الزّين، الصّوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب اللّبناني، ط3، بيروت، 1985.

صالح بن سالم، علاقة الفقهية بالسياسة الجزائر العثمانية من خلال الآداب السّلطانية(قراءة في نماذج لرسائل ديوانية بين يوسف باشا و الفقيه محمد السّاسي البوني)، المجلة التّاريخية الجزائرية، العدد 03، جوان 2017.

عادل نوهض، معجم أعلام الجزائر من صدور الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الأبحاث، الجزائر، 2013.

عبد الجليل شقرون، نحلة اللّبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمّار أبي العباس سيدي احمد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تحقيق المخطوطات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016- 2017.

عبد الرزاق بن حمادوشالجزائري، لسان المقال في النّبأ عن النّسب والحسب والحال ج2، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في التصوف في الجزائر: منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط2، دار الخليل القاسميعبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر: منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط2، دار الخليل القاسمي، المسيلة، 2005، ص159.
فوزية لزغم، إجازات الشيخ يحي الشّاوي المليانى الجزائري بدار الكتب المصرية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 03، العدد 2017، 04، ص ص 139-157.

الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1398ه /1978.

لخضر سعيد بلعربي، فنون النّثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، كليةالآدابوالفنون، قسم اللغة العربية و ادابها، جامعة وهران 1، 2017_2018.

محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلالي، دار هومة، الجزائر، 2004.

الموسوعة العالميةالعربية، حرف الراء، مج11، ط2.

يوسف العايب، أشكال الكتابة الأدبية في الجزائر العثمانية، مجلة البحوثوالدراسات، العدد 24، السنة 14، صيف 2017.

8عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر: منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط2، دار الخليل القاسمي، المسيلة، 2005، ص159.

باللغة الأجنبية:

Gorguos (Traducteur),Bouras historien inédit de l’Afriqueseptentrionale A volume 05 n 25,1861.